

كارثة لشبونه

مترجمة نثراً

هي قصيدة فولتير التي رثى بها ضحايا زلزال البرتغال الذي وقع سنة ١٧٥٥
معارضاً بها قصيدة « برونج » المعروفة التي عنوانها « كل شيء حسن . »



انتم عظة ومثل لقوة العناصر ،	ايها الاحياء التعميسة ،
العمياء المقيدة لارادة الله ؟	ايها الارض المدهمة الحزينة ،
اتقولون وانتم وقوف ،	يا جموع البشر الفزعين الخائفين ،
على كتل اللحم المرتعشة ،	المعلقين بالأمل الذي لا ثمر له ،
لقد اقتص الله ،	تقدموا ايها القائلون
وليس جزاء الخطيئة الا الموت ؟	« كل شيء حسن » !
أى جرم أو أية خطيئة تلك ،	وتأملوا في الخراب

القلوب الدامية الجريحة ،	هذه هي البقايا والاشلاء ،
الملقاة على صدور امهاتها . ؟	وهذا هو رماد اخوانكم .
وهل اقترقت لشبونة لتعميسة	لقد اصبحت الام مع الطفل ،
المنكودة من الخطايا	كومة بين الانقاض .

اكثرت ما اقترفت ، وتحت اثقال الرخام تناثرت الاعضاء .

لندن او باريس أو مدريد ؟ اليكم مائة الف من الابرياء ،

ولكن تبتلمهم الأرض ، ممزقين ،

هنا يرقص الرجال والنساء ، دامية ابدانهم ، وقبل ان يقف نبضهم

وهنا لك يثنون ويتألمون . سترحب بهم القيور ،

بعد أن يتقلبوا في اشد المذاب

ايها المتفرجون على مصائب	اسمعوا الانات الخافتة !
--------------------------	-------------------------

اخوانكم صبراً ،	المن اصبخوا هيكل داميا ،
-----------------	--------------------------

ايها الجامدون ازاء رقص المحتضرين ،	ولهذا المنظر البشع تقولون ،
------------------------------------	-----------------------------

ايها المتسائلون عن سبب الاعاصير ،	
-----------------------------------	--

أتظنون أن العالم يكون أكثر شراً ،
 إذا لم تقع كارثة البر تغال ؟
 من ذا الذي أكد لكم ،
 أن المسبب الأبدى الأعظم ،
 العالم بكل شيء ، لأنه يريد ،
 لم يكن بمقدوره تركنا ،
 دون أن تنسفنا البراكين ؟
 أتحدون قوة العظيم الأبدى ؟
 أتمنعونها من أن ترفق بالخلائق ؟
 أليس للفنان الأعظم وسائل عديدة ،
 يصل بها إلى تنفيذ ما يرغب فيه ،
 السيد ! أنا لا أعترض عليه ولكني
 أود لو أن النار والكبريت ،
 كانا قد انتثرا في تجاهل الصحراء .

أني أحترم الله وأحب العالم .
 ومحبتى الناس ولست كبريائي ،
 هي التي تدفعني إلى النواح ،
 لوقوع هذه الكارثة الكبرى ،

ألعزون حزني الخرائب ،
 وقتلي الشاطئ المهجور ،
 بقولكم :
 « ألا ارقدوا بسلام »
 فقد ضحيت منازلكم للصالح العام
 وسيعيد بناءها قوم آخرون ،
 وسيثري الشمال من خسارتكم المحزنة ؟
 مصابكم ليس الحلقة من حلقات ،

التي لو هبت عليكم وانتم في امان ،
 لامتزجت دموعكم بماء الفيضان .
 ولو فغرت الأرض فاهها العميق ،
 وفتحت فكها المروعين ،
 لعلمتم بأن حزني صادق وبكائي حق .
 ولو حو طكم الفناء الغشوم ،
 وحط عليكم بغضب الشرير ،
 وانشقكم انقاس الموت ،
 أو لو واجهتم ملتهب المواد ،
 وحاصرتكم المصائب ،
 لنحتم معي ، وشاطرتموني الاحزان .

ولكنها الكبرياء !
 كبرياء القلب الثائر ،
 هي التي تخايل اليكم حتى تقولوا
 باننا احسن مما نحن .
 انصرفوا إلى مهر تاجس وخبروه ،
 وابحثوا بين اطلال الهزة الدامية ،
 واسألوا المحتضرين بين الانقاض
 والخرائب ،

أهي الكبرياء التي دفعتهم ،
 لطلب المعونة من السماء ،
 واستدراار الرحمة والعطف
 من الخالق على البائسين ؟

« كل شيء حسن »
 وكل شيء ضروري .

فلستم أمام الله غير ديدان جفيرة ،
مثل تلك الديدان التي تنظركم ،
لثنتهمكم في القبور ؟ ، ،
أى كلام هذا الذى تسمعون له للضحايا
الصامتين ؟ كفى فاشفقوا .

وخفضوا عليهم .

أواه .

ان قلبي لا يحتمل ،
ثقل القوانين الحديدية .
أليس بارادة الله كل شيء يتم ؟
الله ليس بحقودا ..
هو حر ، وهو عادل .

اذن فلماذا نتألم ونحن في حماه ؟
حل هذه العقدة الشديدة ،
من واجبات مفكريكم ،
فحاولوا حلها ، وليكن ،
لا تنكروها .

يرنجف الناس في قبضة القضاء ،
ومع هذا فهم يبحثون عن أصل الشر
وهم لا يشعرون بقسوة الضربات .
فالصخور تتساقط من قوة الرياح ،
وتحرق الصواعق شواهد السندياز ،
ولكنى . . . اعيش وقلبي يلتمس ،
العمون بمن برأه وكونه ا
يا أبناء القوة العظمى ،

ابتهلوا لمولى الجميع !!

انما الوعاء لا يتكلم ، ولذا
لا يعترض احد ، اذ قيل بأنه
حقير وضعيف .

واذا انكسرت الجرة في يد صانعها
فليس لها قلب يتفطر طالبا الرحمة .

ولكنهم يقولون ان في ذلك نفع
للجميع .

فمن جسدنا الفانى سيوجد يوما ،
الوف من الديدان ، عند ما يخيم
الموت علينا .

أهذه تعزية تخفف بها المصائب ؟

أيها المقامرون على شقاء الناس ،
إنكم تضاعفون ولا تقللون
الآلام ،

وفيكم أرى اثرأ من الكبرياء ،
مدفوناً تحت مظاهر الانسراح

اننى فرد من المجموع الاعظم ،
وكل موجود كتبت له الحياة ،
وكل الذى يحس يتألم ،
وأىضا يموت .

فالبازي ينقض على فريسته المستأمنة ،
ويغرس منسره في جسدها الضعيف
« وكل شيء حسن » فى الظاهر ،
ولكن ،

أهو تيفون (١) الذى قضى علينا
بالألم؟

أم هو اهريمان (٢)
الذى كتب علينا الشقاء؟
ولهذين المجرمين لا أعترف بالربوبية
ولكن لماذا يكيل إلهنا الخير المحض
البركات على بعض أبنائه،

ويعثر الشر على غيرهم من الناس؟
من ذا الذى يدعى معرفة ما يضره؟

لا يصدر الشر عن الخالق الكامل،
وهو أيضا لا يريد أحدا أن يفعله،
ومع هذا.. فالشر،
فى كل مكان موجود !
إيه أيتها الحقيقة المخيفة !
إيه أيتها المتناقضات العجيبة

هبط الآله الى الارض،
ليخلص نوحنا المنكوب،
ولكن شيئا لم يتغير !
من الناس من يقول
« لم يكن قادرا » !
وسواهم يقولون .. !
كان فى قدرته ولم يشأ !
وبيناهم جميعا فى أخذ ورد،
انفجرت الصواعق واندلعت النيران

الا رأيت النسر يمزق،
جسد البازى شرا تمزيق،
وفى قلب النسر تنفذ،
السهام المسددة من يد الانسان،
ويعوت الرجل فى حومة الوغى،
وتأكل الطير جسده المعفر؟

هذا هو العالم،
كل فرد يئن ويتألم .
ولقد ولدنا للعذاب،
والموت المحتوم،
ومع هذا نقول،
ان فى الألم خيرا كثيرا .

اية سعادة هذه؟
هل ما زلتم تصرون،
على ما يقال،
« كل شىء حسن ؟ »
ان الوجود يكذبكم،
وبكل ما فى الوجود من قسوة،
وكذلك القلوب البشرية،
فانها تكذب تخيلاتكم الفارغة .

حكم على الكائنات كلها بالتناحر،
فاعترفوا، اعترفوا فالشر مستأصل
وأما السبب . فماذا أقول فيه ؟

انه مجهول ! ! !

وهل يمكن أن يسببه موجد الخير؟

١ اله الشر عند قدماء المصريين

٢ اله الشر عند قدماء الفرس

بالسنتها ، ومات الناس في
البورتغال !!

وعلى هذه الصورة المخيفة ،
يكون نصف الخطيئات المستأصلة ؟

البارىء اما مجرد عن الشفقة ،
ينفذ ما يرتئيه برباطة جأش ،
واما أن تكون هنالك خطايا حقيقية
عقولنا قاصرة عن ادراكها .
اذن فلتكن لنا عبرة وعظة .
فالعالم ليس الا ممرآ ،
وليس عاقبة الألم ،
بشيء غير الهلاك ،
لدواتنا . ومن بعد ذلك ،
نجد الخلاص ، وكذلك نجد ،
الراحة الأبدية .

واما اذا قطعنا الممر ،
فمن ذا الذى يضمن ،
حسن الجزاء ؟
ومهما اعقب النهاية من الم ،
فكل امرئ يخشى ، وكل امرئ
يخاف .

وليس لنا من أمل ،
فالطبيعة صماء ،

وليس هنالك من فرج ا
الا ذكر الآله ،

الفيلسوف غر فولتير واشتهر بالرياضات وله آراء
طريفة في الفلسفة

فواسوا به الضعفاء ،
واقنعوا به العقلاء ،
ففى غيره لا نجد ،
موثلاً للاعتماد .

لم يعلمنا لينتز ، (١)
ما هو غير محسوس ،
من هذا العالم ، الذى ،
هو أحسن من غيره ، والذى
هو مملوء بالارتباك والكثيره ،
القائض بالتموضى والمصائب ، والذى
فيه مسراتنا ممزوجة بالألم ، والا
فلماذا يتحمل الرىء الشقاء ، جملة
مع الذين يرتكبون المعاصى ، كبقية
العلماء . ! ! ! !
انى أجهل السبب .

قديمًا زعم أفلاطون ، أنه
« كان للناس أجنحة ، وجسوم
تمانع الامراض المفنية ، وكان
الألم والفناء عنا بميدىين » .
فكيف سقطنا من ذاك العالم ؟
الشخص يولد ثم ينمو ويفنى ،
فكلنا نولد ليدركنا الفناء ، وعالمنا
هذا لم يوجد للبقاء .

وهذا البناء الضعيف ، المكون من
لحم وعظم ودم ، يمجز عن تحمل
صدمات المواد الجامدة .

بالرغم من أننا ذرات مفكرة ،
نقيس النجوم بفكر سليم ،
فانا مجهل من نحن ١١١
وكذلك مجهل موجدنا ١١١

وجودنا جزء من اللانهاية ،
وأما ذواتنا فلسنا نراها .
دنينا مكان الغرور والخطأ ،
مملوءة بالمصروعين الذين ،
يتكلمون كثيراً عن السعادة .
الناس يرغبون رغم هذه التعاسة ،
ميتة فظيعة ، تم قومة ثانية .
لان هنالك برهات من الحياة ،
المتألمة تمسح دموعنا باللذة الجامحة ،
ولكنها بعد ذلك تمر ،
تاركة لنا حسرة والمأ ،
كذلك نأسف لماض مخفوف ،
بشقاء عظيم وامل في الفرج .

وما دام الفكر سيصل الى القبر ، فهم
يقولون كذبا وزوراً «حسن» .
هذا مقال الكسول ، وأيضا
عقولنا نخدع وليست عليمه ،
فهل من نصدق غير الآله ؟

بزفرة خافتة مزجت بالالم ،
ارتل سراً بصوت ضعيف ،
مسيحاً المدة المستملحة .
ولكن مصائب الزمن علمتني ،

وهذا التركيب المكون من
الاخلاق ، والتراب ، لم يتكون لشيء ،
اللهم الا للقضاء .
وأعصابنا الحساسة ،
السريعة الانفعال ،

لوجدت للالم الموصل للموت ،
وهكذا الطبيعة تمس في أذني .

انى اكراه ابقرات ، وكذلك
افلاطون ،

والى «بايل» العظيم اشعر بميل ، لانه
مال الى الشك بدوره من قبلى .
ولانه عاقل ، ولانه عظيم ، يقول ،
ليس من الضروري وجود آله .
ولكنه ناقض نفسه بنفسه ،
فاصبح مثل الكفيف الذى ،
أهلك فلسطين ومات معها .
اذن فلنستمع للعقل الكبير ،
اذ يقول — «أن القدر مستغلق
علينا»

«وليس الإنسان بعارف حقيقة
نفسه»

«ولا من أين أتى ، ولا الى أين يصير» .

ايه ايتها الذرات المتألمة ،
المتقلبة على فراش من طين ،
المقضى عليها بالموت والقضاء ،
وبالاستهزاء والسخرية ١١١١

وجرب الشعور مع المستضعفين ،
وبين الظلام الكثيف أنقب ،
عن الشرح والجهل والضيق
عظمتك منزهة أيها الواحد القاهر ،
عن النور !!! ولكنني أخشى الملام . والخطيئة ،

وقيل وفاة أحد الخلفاء ،
رود بقلب كسير ،
وكان عليه أنه يضيف الى هذا
« كذلك أنت عن التامل منزه »
أديب

المذهب

ويكره مبغيا عليه وباغيا
فان كان ممن ملكوا أرسن الهوى
وكان له فيمن تولوه ذادة
وما هو بالمستوضح الحق ما ادعى
ولكن تحيران الانام مطوع (٢)
وذا الرأي مدفوع اليه يبارق
فوالله إن الناس في الارض سيروا
ففي كل عصر قادة وأئمة
وقوم على دين الأبوة نشئوا
فسبحان ذي السبحان لارب غيره
أخو الرأي ألا أن تسود مذاهبه
هوى الناس قادت ركب قوم نجائبه
تدافع عنه من عطا (١) وتحاربه
فما زال كون الحق تغطو غياهبه
يناديه ذكوان الحجا فيجاوبه
من الفكر لاحق تنور طالبه
بمجهلها في غيب ضل رايه
وطالب حق فارغات حقائبه
مناقبه مقبولة ومثالبه
أرى عالم الدنيا تضل ركائبه
عبد اللطيف ثابت

(١) عطا تناوله بلسانه وآساء

(٢) من فطوحت له نفسه قتل أخيه تابعته وطاوعته